ستديو ثقافة شعبية

(دربين) ايام زمان يستخدمه النوخذة (ربان السفينة الشراعية)

المسبحة .. والعصا صورتان للوجاهة!

الحكاية الشعبية في مسرح الأطفال

علي مزاحم عباس

من بين ضروب الأدب الشعبي تبوأت الحكاية الشعبية مكانة أثيرة ومرموقة، فقد انطوت على عناصر الجذب والشد والارتباط والفنتازيا، فضلاً عن انها تعانق اشواق الإنسان وصبواته واحلامه ومطامحه.
وعلى مدى قرون انجبت عبقرية البشر نماذج من الحكايات المتميزة بالحكمة والغرائبية فاضحت بدورها ينبوعاً عذباً وسائغاً استقى من أبرز الكتاب وألمع الفنانين اعمالهم الخلافة فليس غريباً ان يدخل الساحة كتابنا تتمخض جهودهم عن بعض المسرحيات الشائقة التي اتخذت من توفيق الحكاية واستلهامها معيناً لخوض المغامرة كاطار لوجود عام وبذلك اقترب المبدعون من أخيلة الصغار ووجداناتهم محاولين باخلاص معانقة احاسيسهم ومشاعرهم. وبجسارة محمودة خطوا خطوات لها شرف المحاولة والريادة.. من هؤلاء الفنانين عبد القادر رحيم وقاسم محمد وعزي الوهاب الذين يعدون بحق الركائز التي مهدت الطريق للعديد من الموهوبين ولا ننسى مسرحيات (طير السعد) و(الدجاجة الشاطرة) و(أصدقاء المزرعة) وجهود طه سالم في مسرحية (المزمار السحري) و (القنطرة) فهذه الاعمال وغيرها عالجت اخلاقيات الإنسان وبحثه الدائب عن العدل والحق والسعادة والمستقبل الآمن، كما نذكر بالتقدير مسرحية كنز الملح لعواطف نعيم و(الاميرة والسنافر) ذات الطابع المسرحي والروح الفكاهية الجذابة وهي بقلم حيدر منعثر هذه الامثلة تشير إلى استاع دائرة الإبداع بالخوض في ميدان تربوي خطير.
كما نذكر مسرحية (علاء الدين والكومبيوتر) بمزجها التراث الحكائي بالمعاصرة ولسوء الطالع ان اختطف الموت مؤلفها حنين مانع قبل ان يمضي في مشواره المسرحي فخسرت الساحة المسرحية واحداً من المواهب الواعدة وما يبعث على الاعتزاز مسرحية (نور والساحرة) لسعدون العبيدي هذه المحاولات وغيرها قامت على المزاوجة بين المادة التراثية من حكايات وامثال واعتقادات والمادة الخلاقة أي استنادها إلى بنية التراث الفلكلوري وبنية الدراما المسرحية وقصدية المسرح المدرسي كما في مسرحية أو مملكة النحل لجبار صبري العطية حين استثمر صلة وبيئة الحكاية برشاقة ونجاح حيث ناغت عقلية الطفل بهذه الدرجة أو تلك ولامست جانباً من الخزين الثقافي واللغوي بالرغم من ان الواقع الموضوعي لا يساعد كثيراً بهذا الخصوص. ولابد من التنويه بان اختلافاً واضحاً بين الرؤى والاجتهاد والمعالجة في تكلم المحاولات إلا انها تعتبر حصيلة طيبة جديرة بالتقدير بفعل الممارسة والإطلاع.
وقد تمخضت هذه التجربة رغم قصر عمرها العديد من القضايا الفكرية والفنية يعود فضلها إلى النقاد المؤدجلين وغير المؤدلجين كالتساؤل عن ماهية المسرح الطفلي الراهن؟ ومدى تحقق المقاييس في الانتاجات؟ هل تتوافر مراعاة الفئات العمرية؟ كيف نخلق مسرحاً جماهيرياً يجد الطفل فيه المتعة والقيمة التربوية وغيرها من القضايا الحساسة والمثيرة للجدل والتي لم تجد حلولاً مناسبة ولكن فضيلتها الحق انها نبهت الى ما يجب ان يتصف به مسرحناً وان يرتكز إلى الأسس الجمالية والتروبية والفنية على ان يكون الهدف الأساس الذي لا غنى منه توافر التسلية والمتعة. وحسبنا الوقوف عند واحدة من تلكم القضايا وهي تضمين المسرحيات شخصيات خارقة كالساحر أو العفريت أو الجان والتي تنقل الطفل إلى دنيا الخيال المجنح بمعالجتها معالجة عنيفة وقاسية تنقل الطفل بعيداً عن نفسه وعن العالم فيشعر بعدم الاطمئنان وهناك من يرى ان طفل اليوم لم يعد يحفل أو تصدمه حزعبلات الحكاية فهو يتصرف عما يكره ويقبل على ما يجب كأنه ناقد حساس لا يزيف مشاعره. ويرى الفريق الآخر ان دور الحكاية تضمن حاجات نفسية من واجب المسرح ان يعرف الصغير جذوره واصوله وقيمه ويكتشف الاجابات عن الاسئلة المتعلقة والمحيرة وما يساوره من قلق. وعلى عكس هذه المفاهيم يرى فريق آخر ان قسر الطفل على التمسك بالواقع فقط يهدم لديه بهجة الحياة وسحرها ويرى المخالفون ان لا خير في تضمين المسرحية شخصية خارقة على ان يعمد المؤلف أو المخرج إلى الحط من مكانة تلك الشخصية واسقاط هيبتها.
وقد فات كلا الفريقين المناصرين والمخالفين إلى ان هناك غير الشخصيات الخارقة تتمثل في شخصيات غير بشرية (حيوانية، نباتية، ظواهر طبيعية) لم يبدوا رأيهم فيها وهي تتكلم وتتصرف كالبشر وتشعر بمشاعرهم وتفكر بتفكيرهم.
ومهما يكن الموقف فانه لابد من إعلان مساعد العقل والارادة وتجنيد الادراك. ونبذ ما يخالفها لئلا يشعر الطفل بالغربة عن العالم ويتكيف مع المجتمع وان يحذر الكاتب والمخرج من مزالق الحكاية التي تعتد في بنيتها على التشاؤوم والتفجع ومظاهر العنف الجسدي والمعنوي.

تجوال في عالم الضحك

كيف يفسره العلماء هل هو (عقوبة) أم متعة أم قدرة على التخيل؟

ترجمة قاسم مطر التميمي

الضحك رد فعل لا يحقق هدفاً مهماً. ودوره النافع الوحيد يتمثل في تحريرنا مؤقتاً من عسف المنفعة. والضحك ذو مراتب متباينة، يتدرج من الابتسامة الخجولة وحتى القهقهة العالية. تحدد ذلك الحالة النفسية التي تعترينا أو الجو السائد الذي يحيط بنا فهو يملي علينا أيضاً كيف نضحك: برغة، بحرية، بحزن بفرح أو بشهوة. ونحتاج قبل كل شيء إلى شريك ضاحك. فنحن لا نضحك لوحدنا قط.
ان صناعة باسرها تعيش على ضحكنا: المصانع تنتج المفرقعات. ودور النشر التي تصدر الصحف الساخرة. وبضحكنا يرتبط وجود رسامي الكاريكتير والمهرجين والممثلين ونجوم السينما. ان صناعة للترفيه واللهو نبلغ رساميها المليارات وتعمل على اضحاكنا.
انها التجارة الرائجة التي تتخذ من الضحك بضاعة لها؛ والى جانب ذلك هناك دائماً تسلية خفية يهتم بها الشعراء. فهم يبتكرون مواقف شاذة، ليضحكونا. مثل النمساوي الكسندر ليرنت. هولينا. فقد وصف في روايته الموسومة (أمير سانت جرمان)، التي انتشرت على نطاق واسع وصف الساعات الأخيرة لامرأة أصيبت بحمى النفاس استدعى ذووها كاهنا، ليتلو عليها موعظة المحتضر.
وتقدم رجل الدين، وهو خبير بالمواساة، نحو سرير المحتضرة وعلى محياه علائم الحزن والتآثر. في تلك اللحظة أفسدت معدته عليه وقاره. فقد ألمت بالكاهن حالة فواق (شهيقة) شديدة، بلغ من شدتها ان الحاضرين قد شكوا بقدرة هذا الرجل التقي على التخلص منها.
والمحتضرة التي كانت في وعي تام، نسيت ما هي عليه، فأخذت تتابع وهي تبتسم مقاومة الكاهن لعاهته وتنتظر بتوتر عودة الاضطراب الايقاعي، الذي جعل من موعظة الكاهن الجادة، مشهداً من مشاهد السيرك. وقد انهى الموت هذه النادرة بالنسبة لها. غير ان ابتسامة بقيت ترتسم على شفتيها، تمسك بمسرة الساعة الأخيرة.
لقد كتب الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون (١٨٥٩ . ١٩٤١) عن الضحك ما معناه؛ انه يشير في اغلب الحالات إلى خدر، إلى انعدام الحس في قلوبنا. فالمرأة التي ضحكت من فواق الكاهن، كانت حصينة في تلك اللحظة ضد أفكار مفزعة عن موتها.
لقد تصرفت مثل ذلك الرجل، الذي يقي يرقب، كيف يتزحلق شخص ما على قشرة موز مرمية على قارعة الطريق. انه يضحك ويقاوم شعوراً في تلك اللحظة، ربما يكون مماثلاً للشعور بالشفقة.
ولكن لماذا قتل فواق الكاهن الموقف الرهيب، ودفع المأة المحتضرة إلى الضحك؟ فإذا نظرنا إلى كلا الحادثتين نظرتين منفصلتين . هنا الحضور المهيب للكاهن، وهناك قرقرة بطنه . لا نجد هذا ولا ذاك مثيراً للضحك والتسلية. ان الموقف المضحك اذن، الذي جعل المرأة المتحضرة تبتسم، كان من خلال الربط بين الحادثتين المنفصلتين تماماً. وتؤدي كل واحدة منها إلى نتيجة حتمية مختلفة:
الطقس الاحتفالي بنظم وفقاً لإرادة الكاهن.
أما الفواق فعلى العكس من ذلك، فهو يخضع لقانون فسيولوجي، ليس للكاهن عليه من سلطان. لقد ابتسمت المحتضرة اذن لأنها ادركت ان نفس الشخص . الكاهن . في سياقين غير متفقين منطقياً. حادثة تافهة، ولكنها مستقلة عن عن سلطة الكاهن تفسد على الرجل التقي هيبته وتفضح زيف وقاره.
ونضحك على الخصوص إذا ما استخدمنا علاوة على ذلك تقنية الربط إضافة إلى تقنية الازاحة. فعل سبيل المثال نذكر الطرفة التالية:
جلس رجل في مقهى وطلب لنفسه قطعة من الفطائر. وبعد ان رآها أعادها وطلب بدلاً عنها كأساً من الكونياك. وما أن فرغ من احتساء الكأس حتى نهض ليغادر المقهى دون ان يدفع الحساب. فاعترضه النادل وأعاده إلى مكانه. فقال الرجل متسائلاً: ماذا تريد مني؟
قال النادل: عليك ان تدفع ثمن الكونياك!
:. ولكني اعطيتك بدلاً عنه قطعة الفطيرة!
:. وهذه أيضاً لم تدفع ثمنها!
:. وهذه أيضاً لم آكلها!
وفي النكتة التالية تصبح تقنية الإزاحة عملية: في قرية هنغارية حكم على حداد بالاعدام بسبب اقترافه جريمة قتل متعمد. غير ان العمدة قرر عدم تنفيذ حكم الاعدام بالحداد وانما بالخياط. وحجته في ذلك: (لدينا خياطان في القرية، وليس فيها سوى حداد واحد. وهذا يكفر عن جريمة القتل. اعتقد ان الامر واضح تماماً!
لقد كتب سيجموند فرويد عن إزاحة عقوبة كهذه من شخص إلى آخر، ذاكرا انها تعارض كل قوانين النمطق المعروفة لدينا. والعجيب ان الحادثة التي وقعت في الريف الهنغاري لا تبدو لنا غريبة أو غير معقولة. اننا نضحك منها، ولا نستطيع ان نضحك إلا عندما ندرك سر مسألة ما، أو نفطن لمغزاها. لابد ان تكون لدينا اذن طريقة تفكير ثانية . على العكس من منطقنا المعروف . تبدأ بمعرفة حادثة غير معقولة باعدام رجل برئ.

وطريقة التفكير هذه تعود إلى دائرة اللاوعي فينا . وهي تعني بجعلنا نحلم ليلاً ونتمكن من الضحك نهاراً.
وهناك احتمال آخر يجعلنا نضحك؛ انه المقارنة فنحن جميعاً لا نمتلك تصوراً محدداً دقيقاً عن سحنة انسان ما. فإذا لم ينسجم انسان ما . قزماً كان أو عملاقاً أو احدباً . مع هذا التصور، دفعنا ذلك إلى الضحك. كما نضحك أيضاً إذ اثبتنا من خلال المقارنة، ان الانفاق على عمل ما لا يتناسب مع محصوله. ونضحك دائماً أيضاً إذا ما تخمض الجبل ليلد فاراً. فإذا ما حدث العكس وتمكن رجل من تحقيق انجاز ضخم بجهد قليل، لم نضحك وانما ندهش ونعجب. والضحك من وجهة نظر الفيلسوف عمانوئيل كانت، يحدث لدى البعض عندما يتبدد ما كنا نتوقعه إلى لا شيء. اما ماذا يعني بذلك، فهذا ما يوضحه الكاتب (آرثر كوستلر) في كتابه (شرارة الإله) حيث يورد حكاية طريفة حدثت في عهد الملك لويس الرابع عشر، مفادها ان ماركيزا فتح بابا يفضي إلى مخدع زوجته فوجدها بين ذراعي الاسقف. عندئذ تراجع نحو الشباك ليمنح الناس المتواجدين في الشارع بركته.
وصاحت المرأة الخائفة (ماذا تفعل؟) فأجاب الماركيز: (قداسته يقوم بواجبي وأنا اقوم بواجبه!) إننا نعلم من خلال المراقبة والخبرات الخاصة ومن خلال النصوص الأدبية أيضاً (شكسبير . عطيل .) بأن الرجال إذا ما ضبطوا نساءهم متلبسات بجريمة الخيانة، صدر عنهم رد فعل عنيف. لذلك كنا توقع من الماركيز منذ قراءتنا للجملة الأولى ان ينهال عليها ضرباً. غير ان أملنا الدرامي هذا الذي يؤول إلى القتل أو الضرب المبرح انتهى إلى لاشيء. وبدلاً من ذلك ضحكنا على نكتة الماركيز (تقسيم العمل) الذي هو منطقي بذاته ولكنه . كما نراه نحن . لا يتلائم مع هذا السياق (الخيانة الزوجة).
وكما عرف عمانؤيل كانت الضحك كذلك فعل سيجموند فرويد؛ انه يرمز بالنسبة له، إلى إدخار الانفعال. وهذا يعني: طالما نحن نضحك فإننا نوفق في داخلنا انفعالات مثل الخوف والشفقة والحزن. ففي الوجه الضاحك ليس هنا مكان لتعبير متجهم أو سحنة عابسة. وهكذا نضحك على امرأة تسقط على الشارع عند مسحها لزجاج النافذة ونضحك من شاهد عيان، نسأله عما حدث فيجيب: (لا أدري، لقد جئت لتوي!) لقد اصحكت المرأة المشاهد ومنعت الفزع من ان يجد له مكاناً في شعوره.
لقد لحظ فرويد ثانية ان الضحك يمكن ان يكون أيضاً تعبيراً عن اداء اخلاقي رائع.
رجل يخبره الطبيب بأن حياته مهددة بمرض السرطان، فيرد قائلاً: (حسناً لقد بدأت أول أيام الأسبوع!) هذا الرجل لم يوقف عطف الطبيب واشفاقه حسب، وانما فسح مجالاً للضحك. وكافح . فضلاً عن ذلك . الفزع الذي باغته بملاحظته الساخرة.
كلاهما . ضحك الطبيب وتغلب المريض على فزعه . احرزهما من خلال مقارنة مستحيلة. فبدأ الامر كما لو ان الخبر عن مرض السرطان وضياع فرصة اللحاق بالحافلة . مثلاً . أو ضياع المفاتيح أمور متساوية لا فرق بينها. فان صدرت عن الرجل المبتلى نادرة أو ملحة وفسح حيزاً صغيراً للمرح في احساسه الذي يتملكه الألم . حدث عندئذ ما نطلق عليه (الضحك من خلال الدموع).
حقاً ما ان ينصرم عام ويأتي عام جديد حتى يقول البعض منا: (ما عدا هناك سبب للضحك!) ربما بسبب الأعمال الإرهابية أو بسبب البطالة. غير ان التاريخ قد علمنا باننا كثيراً ما نضحك في الأوقات العصيبة. فكل حدث مأساوي يوحي لنا بنكات مفزعة تثير فينا الضحك بعد ذلك. فهل كان ذلك ضرورياً؟ ربما نضحك مدافعين؛ نريد كبح جماع الفزع الذي ينتابنا. لذا فليس من الغريب ان يستخف المفكرون بهذا (الاستثار الإنساني) . الحيوانات لا تضحك لأنها لا تستطيع ان تفكر تفكيراً معنوياً.
لقد كتب افلاطون في كتابه (فيليبوس)؛ ان الجزء الأكبر من ضحكنا يحدث على حساب الآخرين، وهو بالتالي ذو صفة سيئة. اما الفيلسوف الانكيزي توماس هوبز (١٥٨٨ . ١٦٧٩) فقد أكد هذا الزعم بقوله: (ان الرغبة بالضحك، باعتبارها نشوة مفاجئة تحصل عندما نكتشف في أنفسنا تفوقا غير متوقع إزاء ضعف الآخرين).
أما ما يراه المفكر الفرنسي (هنري برغسون) فعلى العكس من ذلك. فهو يرى في الضحك عقوبة نوقعها بشخص ما بغية اصلاحه. والانثروبولوجي (هيلموث بليزنر) أدرك ان ما يتسم به الضحك هو ربطنا له بالزفير بينما نربط البكاء وما يصاحبه من نحيب بالشهيق. ولا يرى (بليزنر) في الظاهرتين محض صدفة. انه يرى في الأولى اقبال على العالم وفي الثانية اعراض عنه. ويجمع العقلاء من الناس على الاعتقاد بأن ضحكنا غالباً ما يمثل شكلاً من اشكال الاعتداء المقنع. ومضمونه الاعتدائي يتمثل في أوضح دلالات لغتنا.
فنحن نتحدث عن (مفرقعات الضحك) و (انفجار الضحك) وغالباً ما نرى في القهقهة ما (يهلك) أو (يميت) فنقول: (ماتوا من الضحك).
والغامض في الأمر هو عن أي شيء يضحك الأطفال الصغار. فكما لاحظ عالم نفس الأطفال الأمريكي (بول ماك غي) بأن الأطفال يكونون من أجل الضحك أفكاراً معنوية عند بلوغهم سن الثمانية عشر شهراً. في تلك السن يضحك الطفل إذا ما وضعت الأم في فمه مصاصة، على سبيل المثال. اما الطفل الذي لا يزيد عمره عن عشرة أشهر فانه لا يعرف شيئاً عن هذه الدعابة. ومع هذا فان الرضيع يضحك في حالات لا علاقة لها بالطعام لماذا؟ يقول البروفيسور (ماك غي): "ان علماء نفس الأطفال ليس بوسعهم اليوم ان يفسروا هذه الظاهرة تفسيراً مقنعاً غير ان الطفل الرضيع الذي يضحك بين الوجبات دونما حدوث شيء يفرحه، فانه يضحك أيضاً إذا ما حدث ما يفرحه.
ويبقى الأمر غامضا: ترى ما الذي يجعلنا نحرك وفي وجوهنا خمس عشرة عضلة إذا ما سمعنا نكتة كهذه: (يحكى ان فتاة كانت تسير مسرعة في شارع فتبعها شاب مراهق أراد معاكستها واللحاق بها. قال:"لماذا أنت مسرعة هذكا، هل وراءك موعد؟" فردت الفتاة قائلة: "لا وانما ورائي حمار!!".
أو نكتة كهذه (يحكى ان قروياً كهلاً يقتاد بالجهد حماره، قدم إلى محطة القطار واتجه نحو شباك التذاكر طالباً من الموظف المختص ان يقطع له تذكرتي سفر إلى قرية مجاورة وسأله عن سعر التذكرتين فأجب الموظف؛ ان سعر تذكرته ديناران اما تذكرة حماره فدينار واحد!
ودهش القروي لهذه التعريفة الغريبة. وصاح محتجاً: (ولكنه . ويشير إلى الحمار . اكبر مني حجماً وأثقل وزناً!) قال الموظف وهو يحاول تهدئته: (ليس هذا السبب وضعت الأسعار. وانما لما تتميز به عربات المسافرين عن عربات البهائم. فهي مزودة بمقاعد وثيرة وإنارة جيدة وخدمة ممتازة وهواء مكيف...).
فقال القروي مقاطعاً: (وماذا بعد؟
قال الموظف: (هذا كل شيء).
قال القروي: (اعطني اذن تذكرتين لحمارين!!).

من المحرر

دعوة للجنة اليونسكو العراقية حول الاغنية والعمارة العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

للاغنية العراقية انواعها المتعددة الممتلئة ثراء وتنوعاً من الصحراء إلى السهل إلى الجبل، وإضافة إلى تنوعاتها اللحنية والادائية لها . كما هو معروف . سماتها اللغوية الأثنية حيث اجتمعت في العراق اللغات الشعبية العربية والكردية والتركمانية والاثورية والسريانية وغيرها.
اجتمع في الاغنية العراقية أيضاً المقام العراقي وفن الموال والانغام الكردية والقوريات التركمانية وموسيقى البادية والموسيقى الريفية وموسيقى الدبكة بانواعها والبستة والويحلي واطوار الريف والمدينة الجنوبيين وموسيقى النوبان والهيوة وغيرها ما يعكس تنوعاً شائقاً يحتاج إلى درس وتوثيق ومراجعة دائمة.
وتأخذ الالحان الدينية اصالتها من العمق الروحي للشعب العراقي وغناه التاريخي.
كل هذه التشكيلات الادائية على صعيد الشعر والموسيقى تدفعنا للتعجيل بدراسة هذه الانماط الإبداعية التقليدية والى ايجاد كيان علمي موسيقي مستقل لدراستها وذلك يستلزم جهدا منهجياً يستدعي وجود الخبراء والمال اللازم للعمل
لقد بادر الاخوة في اليمن إلى الطلب من منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة لأن تدخل الاغنية الصنعانية ضمن مشاريعها الدولية في الحفاظ عل التراث الإنساني الشفهي فاستجابت اليونسكو لهذا الطلب واعلنت الاغنية الصنعانية ضمن روائع التراث العالمي واعلنت عن دعم مشاريع حمايتها ضمن استراتيجية طويلة المدى في هذا الشأن وذلك يشمل تدريب الملاكات الوطنية للقيام بالتسجيل الصوتي والمرئي والتوثيق في سجلات وطنية وما تستلزمه هذه العملية من بحوث وندوات تمهيدية لانجاح المشروع.
وفي الوقت الذي نبارك فيه جهد لجنة اليونسكو اليمنية في الحصول على هذا الدعم ندعو اللجنة الوطنية العراقية لليونسكو إلى العمل من اجل الحصول على هذا الدعم ووضع الاغنية العراقية ضمن لائحة التراث العالمي إضافة إلى الاهتمام بوضع المدن العراقية التاريخية وعمارة المساجد والابنية التراثية العراقية ضمن هذه اللائحة وسيوفر ذلك دعماً غير محدود لكل مشاريع الحفاظ على بنى التراث العراقي المادي والشفاهي.